أيها الآباء

أيُّها الآباء

شعر

عبد اللطيف يوسف

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أوالنسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع

سورية - دمشق - حلبوني - جادة ابن سينا
ص. ب. ٣١٤٢٦ هاتف ٢٢٤٨٤٣٣ فاكس ٢٢٤٨٤٣٢

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾

[التحريم: ٦].

المقدمة

الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونستهديه ونستنصره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشدا، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمَّداً عبده ورسوله، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على سيدنا محمدٍ خير الآباء، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين نجوم السماء.

أمَّا بعد: فهذه قصائدُ تربويَّةٌ هادفةٌ، كنت قد أوردت عدداً منها في كتابي السَّابق، «آباء وأبناء في ميزان السماء» الذي ضمَّ عدداً من البحوث التربويَّة والقصص الشعريَّة، بيدَ أنني لمَّا علمتُ أنَّ كثيراً من الآباء الذين شغلتهم أعباءُ الحياةِ يرغبون في توفير الوقت ويميلون إلى قراءة ما ندر أن سمعوا به من قصص وعبر، أو ما لهُ تماسٌّ مباشرٌ مع حياتهمُ اليومية فقد رأيت أن أُقدِّمَ لهم هذا الديوان المختصر راجياً من الله تعالى أن ينفع به جزيل النفع إنه سميعٌ مجيب.

المؤلف.

«يا أيها الآباء»

يا أيها الآباءُ في عصرٍ طغى فيهِ الشَّقاءْ
يا من بأيديهم مصيرُ الناشئين الأبرياءْ
هذا النداءْ:
مـن منبـر الـدِّيـنِ الـذي عـرفَ الـدَّواءْ
مـن شـاعـرٍ عـن قلبـهِ كُشـفَ الغطـاءْ
فلكُم أقولْ:
إن ضـاعَ فـي أكنـافنـا اليـومَ الصغـارْ
فهـي التَّـذاكـرُ للجحيـمِ وللشّنـارْ. .

* * *

«في محكمة الإسلام»[1]

جاءَ رجُلٌ بابنه إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ يشكو إليه عقوقه وعصيانه، ناسياً أنَّ عقوق الأبناءِ ربَّما يكون نتيجةً لسوء تصرفات الآباء.

يا أيها الفاروق إنَّ غُلامي ... لا يستجيبُ لخاطري وكلامي
فاحكمْ عليهِ بما تراهُ صلاحهُ ... إنَّ العقـوقَ لأكبـرُ الآثـامِ
فـأتى بـه عمرٌ وأنَّبـهُ على ... تقصيـرِه وقطيعـة الأرحـامِ
قالَ الغُلامُ: «أيا أمير زماننا ... ما للغلامِ بشرعةِ الإسلامِ
قال الأميرُ لهُ تخَيَّرْ أُمَّه[2] ... واسمٌ جميلٌ ظاهرُ الإكرامِ
ولهُ من التعليم ما أمسى بِهِ ... يتلو كتابَ الواحدِ العلاَّمِ»

---

(١) عن كتاب «تنبيه الغافلين» للسمرقندي.

(٢) له تخيُّرُ أمِّهِ من قبل أبيه لقوله ﷺ: «تخيَّروا لنطفكم فانكحوا الأكفاء وأنكحوا إليهم» رواه ابن ماجه والحاكم والبيهقي.

قال الغلامُ «أدام عزَّكَ ربُّنا ... ما نلت شيئاً من مقالِ إمامي

أمِّي أنا زنجيَّةٌ عبثت بها ... أيدي المجوسِ بسالف الأيامِ[1]

واسمي يثير الضَّحْك عند سماعِهِ ... «جعلٌ»[2] وبئس الاسم في الأعلامِ

أمَّا كتابُ الله ما عُلِّمتُهُ ... فانظرْ إليَّ كسائرٍ بظلامِ»

فاستدرك الفاروقُ سرعته على ... ذاك التعيس قُبيل الاستفهامِ

وأتى أباهُ منـدِّداً بفعاله ... «ما في غُلامكَ موجبٌ لملامِ»

* * *

(١) أمُّهُ كانت مملوكة لمجوسي فاشتراها أبوه منه.

(٢) جُعَل: الرجل الأسود الدميم.

النبات الطيِّب[1]

عمر بن عبد العزيز، هذا الخليفة الأموي الراشد الزاهد، لنستمع إليه في حواره الرَّائع مع ولده الذي تأثرَ بمنهج أبيه في الحياة، قال تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨].

في يومِ عيدٍ كان يرقبُ طفلهُ ... خيرُ الأنامِ بعصرِه ويفكِّرُ
ذرف الدُّموع فليس يزهو طفلهُ ... مثلَ الرفاقِ بثوبِه أو يفخرُ
فرآهُ في ذاك المقامِ صغيرهُ ... فأتاه: «يا أبتاهُ ماذا تخبرُ»؟
قال الخليفةُ والدُّموع لآلىءٌ: ... «ولداهُ إنَّ الحالَ بات يكدِّرُ
أخشى عليك من الرِّفاق إذا رأوا ... منك الثيابَ فإنَّ قلبكَ يكسرُ»

---

(١) هذه القصة عن كتاب تربية الأولاد في الإسلام تأليف «عبد الله علوان».

قال الذي يرعاهُ خامشُ راشد «ليس الثيابُ على القلوبِ تُؤثِّرُ
إن الذي كسر الزَّمانُ فؤاده من كان يعصي ربَّهُ ويُبذِّرُ
أو كان يعصي والديه ولا يرى لهما عليه فضائلاً أو ينهرُ»
أكرم وأنعم بالطفولةِ عندما تلقى رقيباً بالفضيلةِ يأمرُ

* * *

رعاية الأولاد[1]

ليس ضياع الأولادِ وتشرُّدهم بالأمرِ اليسير، ذلك لأنهم رجال المستقبل... وما أجمل ما أجابَ به الأمويُّون الذين لبثوا في حبس بني العباس زمناً طويلاً عندما سُئلوا: «ما أشدُّ ما مرَّ بكم في هذا الحبس» ؟

أفلت شموسُ بني أميَّةَ وانقضى
سلطانُهم وتعاقُبُ الأسيادِ
وتلقَّفَ السجنُ المنيعُ كبارهم
بعد الذي مرحوا بكلِّ بلادِ
وغدا بنو العباس أربابَ الورى
والمالكين لسائر الأمجادِ

---

(١) هذه القصة عن كتاب تربية الأولاد في الإسلام نقلاً عن «الراغب الأصفهاني».

وأتى على «المنصور»[1] أيّامٌ قضت
بتفقُّدِ البـاقيـنَ فـي الأصفـادِ
فمضـى إليهـم بـالسُّؤالِ رسـولـه
عمَّـا أتـاهُـم بـالـغَ الإجهـادِ
قـالـوا أشـدُّ مصـابنـا وعـذابنـا
خسـرانُنـا لـرعـايـة الأولادِ

* * *

(١) المنصور: هو أبو جعفر المنصور «الخليفة العباسي».

«إثم الوالد»

يـا مـن أثمـت بطفـلٍ أنـت مصـدرهُ
قـد جئـتَ فيـه وجئـتَ اليـومَ تهجـرهُ
قد خلت وصلك في اللُّقمات يمضغُها
أو بيـت سكنـى وثـوبٍ بـات يسترهُ
مـا كنـت تـرشـدهُ لله خـالقـهِ
بـل كنت عنـد قـرين السـوءِ تحشرهُ
مـا أنـت تسمعـه قـرآنـهُ أبـداً
فـي كُـلِّ أُغنيـةٍ عـوراء تسكـرهُ
تبـغُ السجـائـرِ مغفـورٌ لشـاربـهِ
سـوءُ الخصـالِ عليهـا لسـت تنهـرهُ

نحـو المسـاجـدِ إن يخطـو تعـاتبـهُ

والسِّينمـــاتُ إن استفتـــاك تعـــذرهُ

مـــا ذاك وصـــلٌ إذا أنقصتـــهُ خُلُقـــاً

يـــزدان فيـــه وديـــنَ الله يُظهـــرهُ

كـلُّ القطيعـة أنـت اليـوم فـاعلهـا

والـذنـب يـوم لقـاء الله تـذكـرهُ

«تعلُّمُ السَّرِقه»[1]

حكمت عليه حكومةُ الإسلامِ
قطع التي سرقت على الأيَّامِ[2]
واستنفرَ الجلادُ يحمل سيفهُ
فاستصرخ المحكومُ بالحكَّامِ
قال: «اسمعوني مهلكم وتبصَّروا
وتتبعوا مستودعَ الآثامِ
فلسانُ أُمِّي كان أصلَ مصيبتي
ولهُ يعود الفضلُ بالإجرامِ
قد كنتُ طفلاً فاستهنتُ ببيضةٍ
فسرقتُها مُستخفياً بظلامِ

---

(١) هذه القصة عن كتاب «أخلاقنا الإجتماعية» للدكتور مصطفى السباعي.
(٢) أي قطع يده.

وأتيـــتُ أمَّـــي مستشيـــراً عقلهـــا
هـل كـان يُرضي عقلهـا إقـدامي ؟
فمضـت تـزغـردُ ثـمَّ قـالَ لسـانُهـا
حمـداً لـربي صـرتَ كـالضـرغـامِ[1]
ومضـى عليَّ الـدَّهـرُ أحفـظُ قـولهـا
وغـــدا بظلـــم الآمنيـــن غـــرامـــي
فعليكـــمُ بلســـانِ أُمِّـــي إنَّـــهُ
أصـلُ الجـريمـة يـا أولـي الأفهـامِ

* * *

(١) الضرغام: الأسد الضاري.

«تعلُّمُ النفاق»[1]

الـــزوج مبتهـــجٌ وزوجتـــهُ معـــاً
ستكـــون خـــالتـــهُ نـــزيـــلَ الـــدَّارِ
راحـــا يُعـــدَّانِ الطَّعـــامَ لأجلهـــا
ويقهقهـــــانِ بغبطـــــةٍ وفخـــــارِ
يصفـانهـا بـالتَّيـسِ يـأكـل مـا يـرى
قـــدَّامـــه مـــن ســـائـــرِ الأثمـــارِ
والطفـلُ يـرقـبُ مـا يقـولُ كـلاهُمـا
يبـــدو عليـــه تصـــارعُ الأفكـــارِ
مـــا إن تـــدانـــت منهمـــا خطـــواتهـــا
حتَّـــى تغيَّـــرَ ســـابـــقُ الإنكـــارِ

---

(١) هذه القصة عن كتاب «ولدك هذا الكائن المجهول» للعالم النفساني الألماني «أوسفالد كوله» بتصرُّف.

وتسابقت أيديهما لعناقها
وتكلّلت بالحُبِّ والإكبارِ
بُهِتَ الصبيُّ بتيسِ أهلهِ عندما
أضحى لديهم أنبلَ الزُّوارِ

* * *

«مسؤوليّة الآباء»[1]

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي اللهُ عنهما قال:

قال رسول الله ﷺ: «كفى بالمرءِ إثماً أن يضيِّعَ مَن يقوت»[2].

نـاج الطُّفـولـة والثُـم وَجْنـةً وفمـا
وامدُدْ يديكَ وهاتِ الحبرَ والقلما
مـا كـان يشفـع لـلآبـاء أن زرعـوا
تلك الزروعَ ولم يرعوا لها الذِّمما
يا ليتَ شعري فهل يحلو لنا زمنٌ
تشكـو الطفـولـةُ فيـهِ البـؤسَ والألَمـا

* * *

---

(١) هـذه القطعـة أعـددتهـا لأحـد مجالـس الآبـاء فـي المـرحلـة الإبتدائية.

(٢) رواه أبو داود وغيره.

ارجع لنفسك

قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
[النحل: ١١٨]

إن عـاهـةٌ في نفسِ طفلـك أينعـت
فـاعلـمْ بـأنَّ بـذورهـا فـي أهلِـهِ
واعلـمْ بـأنَّ الـدُّود في الخـلِّ اغتـذى
لا مـن نبـات الأرضِ بـلْ مـن خلِّـهِ
فـاللغـزُ ليـس بمعضـلٍ لكنَّمـا
ارجـع لنفسـك كـي تفـوزَ بحلِّـهِ

* * *

«حلمٌ أم واقع»

في منتصف اللَّيل، صرخ الطفلُ صرخةً عظيمةً أيقظت أباهُ وأمَّهُ، وعندما سألاهُ عمَّا رآهُ في منامهِ قال:

المـــوتُ المـــرُّ يطـــاردنـــي
سكـــراتُ المـــوتِ تُعـــاودنـــي
والكـــونُ ظـــلامٌ ذو هَـــولِ
كُـــلُّ الأوهـــامِ بـــدت حـــولـــي
تَـــأخـــذنـــي للـــوادي الهـــرِمِ
وأخـــافُ مـــن الـــذئـــبِ النَّهـــمِ
يســـألنـــي شبـــحٌ مـــا تفعـــل ؟
وأجيـــب بخـــوفٍ إن تســـألْ

أمِّـي وأبـي قـد تـركـانـي
أتخبَّـطُ فـي دُنيـا الأوهـانِ
لا أعلـمُ أيـنَ أنـا الآنـا
أو مـن يهـديني لـدنيـانـا

* * *

«بين موظّفٍ وولده»

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾

[البقرة: ١٥٥].

ـ ألَـمٌ يـا بـابـا فـي صـدري
مـن أيـنَ أتـانـي لا أدري

ـ لا تجـزعْ أبـداً يـا ولـدي
فـي وجهـكَ إشعـاعُ البـدرِ

ـ ألمـي يتـزايـدُ يـا بـابـا
فـارحمنـي وانظـرْ فـي أمـري

ـ صبـراً فقـد استصـرخَ جيبـي
صبـراً لأواخـر ذا الشَّهـرِ

وتسـابـقَ داءٌ مجنـونٌ
مـع وقـتٍ فـي بـطءٍ يجـري

وأطـــلَّ الـــرَّاتـــبُ وانطلقـــت

مـــركبـــةٌ تصـــرخ فـــي ذعـــرِ :

افتـــح أبـــوابـــكَ يـــا مشفـــى

الآن أتينـــــا بـــــالأجـــــرِ

* * *

«طوفانُ القرن العشرين»

قال تعالى: ﴿وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ [هود: ٤٢].

شيخٌ ذو علمٍ ذو دينِ ... ذو ولدٍ يهزأ بالدينِ
«باريسُ» تعتّقُ خمرتهُ ... والزوجةُ نبتةُ «برلينِ»
وسفينةُ نوحٍ واقفةٌ ... رفقاً بالشيخِ المسكينِ
كنعان[1].. بنيَّ.. اركب معنا ... كفرانك نارٌ تكويني
ويجيبُ المارقُ في بطرٍ ... علمي جبلٌ سينجيني

* * *

---

(١) كنعان: ابن نوح عليه السلام.

العلـم انكسـرت شـوكتـهُ في الغـربِ بقتـل التنّيـن[1]
والشـرق غـدا ذيـلَ الأفعى أو ذيـلَ القـرنِ العشـريـنِ
يفـرحُ بحيـاةٍ لـن تبقـى مـن بعـدِ الرأسِ إلى حيـنِ

* * *

يـا شيخـاً قطـرت لحيتـهُ دمعـاً وتمـزّق بحنيـن
المـاءُ طغى، هيّا فـالحقْ إمّـا بـالـدّيـنِ أو التيـنِ
فغُـلامـكَ ليـس بـهِ أمَـلٌ لـو جئـتَ بكـلّ بـراهيـنِ

* * *

---

(١) المقصود: فشل النظريات العلمانية ومنها «الشيوعية» وبهذا تمّ الكتاب وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الفهرس

المقدمة ٧
يا أيها الآباء ٩
في محكمة الإسلام ١٠
النبات الطيب ١٢
رعاية الأولاد ١٤
إثم الوالد ١٦
تعلم السرقة ١٨
تعلم النفاق ٢٠
مسؤلية الآباء ٢٢
ارجع لنفسك ٢٣
حلمٌ أم واقعٌ ؟ ٢٤
بين موظف وولده ٢٦
طوفان القرن العشرين ٢٨
الفهرس ٣١

* * *